

الفصل الرابع

الديانة الفارسية القديمة

obeikandi.com

الديانة الفارسية القديمة

ينتمي الفارسيون إلى القبائل الهندوأوربية الذين كانوا يسكنون بالقرب من بحر قزوين، ومنهم قبائل تركوا مواطنهم - كما سنبين فيما بعد- واتجهوا غربًا ثم سكنوا في شبه جزيرة البلقان، وإلى هؤلاء ينسب الإغريق والرومان، وأقوام رحلوا نحو الشرق فذهب فريق إلى الهند وفريق سكن شرقي دجلة وهم الفرس^(١).

ويطلق على الأقوام الذين ذهبوا إلى الهند وبلاد فارس اسم الآريين^(٢)، ومن هذا الاسم اشتق إيران^(٣).

أهم مظاهر الديانة الفارسية:

لقد اشترك الفرس مع الآريين الآخرين في عبادة بعض الآلهة ويدل على ذلك أن الباحثين عثروا في الشمال الغربي الفارسي على آثار ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد تحمل أسماء أشهر آلهة الهند ومن بينها (أندرا)، (فارونا) (ميتهرا) وهي آلهة عبدت في الهند كما عبدت في فارس بعد أن حرفت أسماءها أحيانًا، أما صفاتها الجوهرية ومميزاتها الخاصة فمتشابهة

(١) ج. إدجار، محمد شفيق غربال: التاريخ القديم ص ٧٥. مطبعة المعارف سنة ١٩٣١م.
(٢) لقد شاع استعمال كلمة (الآريين) على جميع القبائل الهندوأوربية ولكن المحققين من العلماء ذكروا أنها لا تطلق على وجه الدقة إلا على القبائل التي استقرت في بلاد الهند وبلاد فارس، وكلمة (آري) تعني النجيب أو الوفي وكانت هذه الكلمة تطلق على الشرفاء، وقد سميت القبائل الهندية والفارسية التي جاءت من السهول القريبة من بحر القزوين بعد نزوحهم إلى بلاد الهند وفارس بهذا الاسم، ومنه اشتق اسم إيران (راجع حسن بيرينا: تاريخ إيران القديم ص ١٣-١٦، محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة ص ٦١-٦٣).

(٣) أما تسميتهم بالفرس فترجع إلى أن ملوك إيران حين اتجهت أنظار مؤرخي الإغريق إلى بلادهم كانوا يسكنون مقاطعة بارس، أو فارس، أو فارسستان وهي المنطقة التي تقع في جنوب غرب إيران الحديثة على ضفة الخليج الفارسي.

لدى الشعبين تشابهاً يلفت النظر^(١).

والى جانب هذا كان للفارسيين بعض الآلهة الأخرى قبل الزرادشتية، فقد كانت الديانة الفارسية تأمر بعبادة العناصر الأربعة، النار ممثلة في كوكبيها العظيمين: (الشمس، والقمر) والهواء، والماء، والتراب، وبتقديس كل مظاهر الطبيعة الأخرى^(٢).

ولقد عبد الفارسيون قوى الطبيعة هذه وجسموها وشخصوها بهيئة آلهة فعبدوا الشمس بهيئة إله سموه (مِثرا) والقمر باسم (ماه)، والأرض باسم (زام)، والنار باسم (أنار) والماء باسم (أفام نفت)، والرياح باسم (وهيو) إلى آخره^(٣).

وكان لهم بجانب هذا العبادات آلهة أخرى - يقول الباحثون عنها: إن لها عبادة الخاصة^(٤) - كانوا يؤمنون فيها بالإلهين (مِثرا) و (أناهيتا)^(٥) وغيرهما من آلهة الشعب ولكنهم كانوا يضعون على رأس هذه الآلهة جميعها الإله (أهورامازدا) وهذا الإله الرئيسي كان عندهم غير مرئي، ولم يكن له معبد خاص، وإنما كانت جميع بقاع الأرض معابد له، وإن النار لم تكن إلا رمزاً فحسب^(٦).

الزرادشتية:

وهي تنسب إلى زرادشت، ولقد اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون في زرادشت ولهم في ذلك عدة آراء نذكر منها ما يلي:

(١) الفلسفة الشرقية ص ١٧٩، راجع في هذا أيضاً مصر والشرق الأدنى القديم ج ٦ ص ٤٣١.

(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٨١.

(٣) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ٢ ص ٤٣٢.

(٤) راجع الفلسفة الشرقية ص ١٨١-١٨٣.

(٥) إلهة الماء والخصوبة. ولقد صورها الفارسيون بعدة أشكال، وبدلوا اختصاصاتها كثيراً (الفلسفة الشرقية ص ١٨٢).

(٦) المرجع السابق ص ١٨٣.

الأول: رأي من ينكرون وجوده، ويعدون كل ما ورد عنه من القصص من قبيل الخرافات والأساطير التي لا سند لها إلا الخيال، وهذا رأي القلة، ولم يقدم أصحاب هذا الرأي أدلة يعتد بها^(١).

الثاني: رأي من يقول، إن زرادشت شخصية تاريخية واقعية ولا سبيل إلى إنكارها^(٢).

يقول د/ محمد غلاب: «يجمع أكثر الباحثين على أن زرادشت قد وجد حقاً وإن كانوا جميعاً لا يجرءون على القول بأن لديهم أي برهان علمي يدل على وجوده»^(٣). وقد اختلف هؤلاء المبتتون في تاريخ وجوده فمنهم من جعله مبدأ القرن السادس قبل الميلاد، ومنهم من أوصله إلى مبدأ القرن الستين قبل الميلاد^(٤). والرأي الراجح بين العلماء هو أنه ظهر في القرن السابع قبل الميلاد، وقالوا إنه ولد سنة ٦٦٠ ق.م وتوفى سنة ٥٧٣ ق.م^(٥).

وهكذا نرى أن هناك اختلافاً كبيراً حول شخصية (زرادشت)، وهل هو شخصية حقيقية أم خرافية؟ وإذا كانت حقيقية فما هو زمان وجودها؟ اختلاف آخر بين الباحثين:

والواقع أن كل هذه الآراء لا تفيد القطع ولا اليقين في وجوده أو عدمه، وإنما هي كلها ظن، فالنافون لم يقدموا أدلة يعتد بها، والمبتتون أدلتهم ظنية ولا يوجد عندهم دليل قطعي على وجوده، وإن كانت لهم بعض الشواهد والدلائل التي تفيد كونه شخصية حقيقية - وهذه الدلائل هي التي أفادت ترجيح رأي المبتتين.

(١) حامد عبد القادر: زرادشت الحكيم ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦. (٣) الفلسفة الشرقية ص ١٨٤.

(٤) حامد عبد القادر: قصة الأدب الفارسي ج ١.

(٥) زرادشت الحكيم ص ٢٧.

ولقد اختلطت الروايات التي رويت عن مولد زرادشت وعن الفترة السابقة لمولده بالقصص والأساطير- والتي تنبئ عن اعتقاد الفارسيين القدماء في زرادشت-.

منها «ما روي من أن بعض رؤساء الملائكة تجمعوا فوق جذع نبات الهوم أو (الهاووما)»^(١) وهو النبات الذي اختار ملاك (زرادشت) الحارس الولوج فيه، وبعد ذلك اقتيدت إلى شجرة النبات المذكور ست بقرات بيضاء، اثنتان منها - برغم أنهما كانتا بكرًا - ، صارتا حلوبتين، إذ أكلت هاتان البقرتان من نبات (الهاووما)، وبذا انتقلت طبيعة زرادشت من ذلك النبات إلى هاتين البقرتين واختلطت بلبن البقر، وبعد ذلك أغرى كاهن يدعى (بوروشاسبو) فتاة من أصل نبيل تدعى (داكوب) لتحلب البقر، وفي أثناء ذلك سحق (بوروشاسبو) نبات (الهاووما) ومزجه بلبن البقر وشرب هو والفتاة مسحوق نبات الهوم ممزوجة باللبن حتى آخر قطرة، عندئذ امتزجا معًا، وأنبأ (أهورامازدا) بذلك، وهنا - كما يقول توملين - حدث اتحاد المجد، إذ اتحد الروح الحارس والطبيعة الجسدية لزرادشت في صورة صبي ذكر»^(٢).

واستنتج العلماء من هذه الأساطير ومن غيرها أن الفارسيين القدماء اعتقدوا بأن -زرادشت هو روح الله، وأن هذه الروح التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري هبطت من السماء إلى الأرض وحلت برحم أمه فحملته

(١) وهو نبات كما يقول توملين -في ارتفاع قامة الإنسان رائع في لونه ممتلي بالعصارة وهو طازج (فلاسفة الشرق ص١٤٦) وهو كما في المعجم الوسيط نبات من الفصيلة الصليبية له أوراق تشبه الياسمين (المعجم الوسيط ج٢ ص١٠٠)، وكان لهذا النبات شأن كبير في ديانة الفارسيين القدماء، فكانوا يستخلصون منه شراب كحلي يسمى (هاومو) وكان البعض يعتقد أن (هاومو) هذا اسم لشخصية بين الآلهة والبشر، والبعض الآخر يعتقد أنه إله يجب أن يعبد، وقد عبد هذا الشراب بالفعل ووضعوا عدة أناشيد للتغني باسمه (راجع الفلسفة الشرقية ص١٨٢)، وكان عابدي الإله (مثرأ) يشربونه ويعتقدون أن هذا الشراب يهبهم الخلود.

(٢) أ. و. توملين: فلاسفة الشرق ص١٤٦-١٤٧ ترجمة عبد الحميد سليم. ط. دار المعارف سنة

وولده بشراً سوياً^(١).

وتفصيل ذلك - كما جاء في روايات الزرادشتيين - أن العظمة القدسية أو روح القدس الذي صاحب زرادشت في أثناء حياته مع الناس على الأرض كان يسكن ملكوت السموات، وأنه ظل يحل بالكائنات العلوية واحداً واحداً إلى أن هبط من السماء إلى الأرض، وحل بجسد ذلك الرجل المختار، وروح القدس هذا الذي قدر له أن يحل بجسد هذا الرجل المختار هو من خلق (أهورامازدا) وأنه بعد أن صدر عن الرب مر بكل حلقة من حلقات السلسلة العلوية، سلسلة الكائنات أو الأجرام السماوية، ثم هبط من العالم العلوي إلى العالم السفلي، وحل بجسد المرأة التي قدر لها أن تكون أمًا لهذا الرجل الرباني^(٢).

والمسيحيون الذين يعتقدون بالتجسد الإلهي وحلول العنصر الإلهي بالعنصر الإنساني لا شك أنهم يشبهون بذلك الزرادشتيين.

كتاب الزرادشتية:

ولزادشت كتاب مقدس يسمى (أفستا) ويسمى بالعربية أبستاق أو وستاق وعليه شرح يسمى (زند) ومعناه التفسير، ثم شرح الزند بكتاب سمي (بازند) ومعناه تفسير التفسير^(٣).

وكان الابستاق يشتمل على واحد وعشرين سفرًا ولكن هذه النسخ فقدت. يقول الأستاذ حامد عبد القادر: «ومن المقطوع به أن نسخ الأبستاق القديمة - مهما يكن عددها - فقد فقدت بعد فتح الإسكندر الأكبر لإيران^(٤)».

(١) زرادشت الحكيم ص ٢٣. (٢) المرجع السابق ص ٣٤.

(٣) راجع المسعودي: مروج الذهب ج ١ ص ٢٢٩-٢٣٠. دار الفكر. الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٣ هـ. (بيروت).

(٤) وكان ذلك في عام ٣٣١ ق.م. لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع (راجع التاريخ القديم ص ١٠٨، قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٤٥٧).

وفقد معها كل مؤلف يشتمل على أي جزء من أجزاء الأBSTاق وسبب فقد هذه النسخة أو النسخ لا يعدو أن يكون أحد أمرين:

الأول: أن اليونان قد تعمدوا إعدامها، والثاني: أنها فقدت أو طمرت مع ما فقد أو طمر من آثار الإيرانيين ونفائس ذخائرهم بعد تخريب الإسكندر لمدينة برسبوليس بإيعاز من قواده^(١).

ثم يقول: «ويكاد يكون من المتفق عليه أنه لم يبق من أقسام الأBSTاق الواحد والعشرين الأصلية إلا جزء واحد هو الكاتاهة»^(٢)، وحتى هذا القسم الباقي اختلف في زمن ظهوره، وفي مؤلفه.

أما الأقسام الأخرى فقد انقرضت وقضى عليها.

ولقد شرع في كتابه أBSTاق جديد في القرن الأول الميلادي (٥١-٧٨م) ثم أكمل بعد ذلك في القرن الثالث (٢٢٦ - ٢٤٠) ولكنه فقد أيضًا، ولم يبق منه في الأBSTاق الموجود حاليًا إلا ربع الأصل^(٣).

والأBSTاق الموجود حاليًا لا يحتوي إلا على مجموعة من الأدعية والترنيمات، والشعائر الدينية^(٤).

هذا هو حال كتاب الزرادشتية وهو - كما ترى - قد اعتراه كثير من عوامل الضياع والنسيان والتحريف مما يفقده الثقة في كونه كتابًا لزرادشت نفسه.

تعاليم زرادشت^(٥):

وأساس الديانة الزرادشتية القول بوجود قوة عليا هي قوة الخير والنور

(١) زرادشت الحكيم ص ٦٧، وعن نظرة الفارسيين للإسكندر الأكبر إزاء هذا العمل (راجع المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضًا قصة الأدب الفارسي ج ١ ص ١٨).

(٢) زرادشت الحكيم ص ٦٧. (٣) المرجع السابق ص ٦٨-٧٠.

(٤) عن أقسام الأBSTاق وتفصيل ذلك راجع المرجع السابق ص ٧١.

(٥) عن تعاليم زرادشت راجع د/ إحسان يارشاطر: الأساطير الإيرانية القديمة ص ٢٢، وما بعدها ترجمة د/ محمد صادق نشأت. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥م.

وتسمى (أهورامازدا) أي النور العظيم، وبجانب هذه القوة سبعة ملائكة قديسيون يمثلون الفضائل السبعة العليا وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، والإخلاص، والأمانة، والكرم.

وهذه الديانة - كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر - تفرض وجود شخصية شريرة تسمى (أهريمان) قوة الشر والظلام ويعاونها سبع من القوى الشيطانية الخبيثة المتمردة تمثل الرذائل الإنسانية الرئيسية وهي: النفاق، والخديعة، والخيانة، والجبن، والبخل، والظلم، وإزهاق الأرواح.

وبين هاتين الطائفتين من قوى الخير وقوى الشر صراع دائم ونزاع لا ينقطع وحرب أبدية. إذ أن كلاً منهما ترمي إلى السيطرة على العالم الإنساني، وفي وسط هذا النزاع الدائم وفي ميدان تلك الحروب المستعرة الأوار ينهض زرادشت ويذيع في الناس مبادئ ديانة قوامها الجهاد والصراع في سبيل إخضاع قوى الشر^(١).

هذا وقد اختلف العلماء في دين زرادشت: هل هو موحد يرى أن العالم يحكمه إله واحد، وأن ما في العالم من خير وشر، وما فيه من قوتين متنازعتين ليستا إلا مظهرين أو أثرين لإله واحد؟ أو هو ثنوي يرى أن العالم يحكمه إلهان، إله الخير، وإله الشر، وأن لكل إله ذاتا مستقلة؟ فهل هو موحد؟ أم ثنوي؟ اختلف الباحثون في الإجابة على هذا السؤال، فيرى كثيرون - كما يقول أحمد أمين - أنه ثنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض كتاب الإفرنج. ومنهم من كتب في دائرة المعارف البريطانية مادة زرادشت^(٢).

ومنهم من يرى أنه موحد، نادى بالتوحيد. وإلى هذا ذهب

(١) قصة الأدب الفارسي ج ١ ص ٣١. راجع أيضًا: زرادشت الحكيم ص ٨٣.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام ص ١٠٣. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٧٨م.

الشهرستاني^(١)، والقلقشندي^(٢) في صبح الأعشى وغيرهما. ولقد أورد الأستاذ أحمد أمين رأياً لأحد العلماء قال فيه: «إن زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحدًا ومن الناحية الفلسفية ثنويًا، بمعنى أنه من ناحية العقيدة الدينية كان يرى أن للعالم إلهًا واحدًا، ولكن إذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه من خير وشر، يتطاحنان وما إلى ذلك فهو ثنوي يرى أن في العالم قوتين»^(٣).

وهذا التوفيق في حقيقة الأمر غير مستساغ دينيًا - من وجهة نظرنا - فكون الإنسان معتقدًا بالتوحيد الخالص، هذا الاعتقاد يمنعه من القول بالثنوية، وفرق كبير بين الاعتقاد بالتوحيد بالثنوية.

فالتوحيد يعني أن الله واحد لا شريك له وأنه هو الذي أبدع النور والظلمة. أما الثنوية فإن الأمر يختلف إذ الثنوية يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان^(٤) فهما إلهان اثنان إله للنور وإله للظلمة.

فبالخلاف بين الباحثين قائم حول حقيقة الديانة التي نادى بها زرادشت، وترجيح أحد الرأيين ظني غير قطعي الثبوت.

يقول د/بركات دويدار: ومهما حاول الباحثون ترجيح أحد الرأيين علي الآخر فإن الأمر سيبقى مجرد ظن، وذلك أن المصدر الأساسي غير موجود، وحتى هذا الجزء الذي وجد أخيرا لا شك قد تناولته عوامل التغيير، حيث إنه لو كان يقيني النسبة لكفانا شر الحيرة، ولكن كيف يكون يقيني النسبة وقد بقي يتنقل مشافهة ما يقرب من خمسة قرون»^(٥).

هذا وقد انتشرت الديانة الزرادشتية في البلاد الإيرانية بفضل تأييد بعض الملوك مثل دارا الأول (٥٤٨ ق.م - ٥٢١ ق.م)، ثم أرت خشتر الثاني (٤٠٤

(١) راجع الشهرستاني: الملل والنحل ج١ ص ٢٣٧. مكتبة مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٨ م.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج٣ ص ١٣٣. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

(٣) فجر الإسلام ص ١٠٣. (٤) الملل والنحل ج١ ص ٢٤٤.

(٥) د/ بركات دويدار: دراسة في الأديان ص ١٠٢.

ق.م- ٣٥٩ ق.م) ثم الأسرة الساسانية (٢٢٦م-٦٥١م) ^(١) ولكن انتشارها كان أقل من عبادات أخرى مثل عبادة ميثرا التي سنتحدث عنها الآن.
عبادة ميثرا:

يعتبر الإله (ميثرا) من أشهر الآلهة الفارسية، وكان في أول الأمر إلهاً آرياً، وكان يمثل أحد آلهة النور عندهم، ثم انتقل مع القبائل الآرية إلى بلاد فارس وبلاد الهند، ويعد من الآلهة التي انتشرت قديماً بين الآريين ويدل على ذلك أنه «قد ظهر اسمه في القرن السادس عشر قبل الميلاد كشاهد قوى على معاهدة أبرمت بين ملكين» ^(٢).

وقد اكتشف الباحثون حديثاً بعض النقوش التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد- وتدل هذه النقوش على أن الملوك الفارسيين كانوا يقصدون بعض الآلهة وكان الإله (ميثرا) أحد هذه الآلهة ^(٣).

واكتسبت عبادة (ميثرا) أولوية في بلاد فارس على بقية الآلهة الآخرين وشاعت عبادته قبل ظهور زرادشت، وظل تقديسه شائعاً بين الفارسيين حتى بعد ظهور زرادشت نفسه، وقد ورد في بعض أسفار الأبيستاق- وهو كتاب الزرادشتية كما أشرنا سابقاً- أن ميثرا يوصف بأنه الحارس للمراعي، اليقظ الذي لا ينام، وبأنه المنعم المتفضل الذي يهب المراعي لمن يشاء بمحض إرادته، ولا يؤذى من يقوم على فلاحه الأرض واستغلالها، وبأنه الإله القادر العالم الذي لا يخدع أبداً ^(٤).

ولقد ظلت عبادة (ميثرا) قائمة إلى جانب (أهورامازدا) إله الزرادشتية- حتى في أفضل أوقات الزرادشتية انتشاراً في عهد دارا الأول (٥٢١-٤٨٥ ق.م).
والإله (ميثرا) كان يعبد- في صورته الفارسية- على أساس أنه رب الشمس

(١) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص (٤٣٥-٤٣٧).

(٢) د/ فهم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ٦٦. دار الثقافة المسيحية.

(٣) دائرة المعارف البريطانية ج ٢٨ ص ١٠٣٩ نقلاً عن زرادشت الحكيم ص ٢١.

(٤) المرجع السابق ص ٢٠.

واله النور، الذي يتمثل فيه الحق وتغمره الفضيلة التي هي ضد الظلام والظلم، وأنه هو الوسيط بين الإله الأعلى للكون والإنسان الضال، ولهذا جاء مشرا ليهديهم - كما يعتقدون - سواء السبيل^(١).

وهناك أسطورة تحكي قصة وحياء (مشرا) وعمله في هذه الدنيا. تقول الأسطورة: «إن مشرا ولد من الصخرة العظمى، وعندما خلق أهوراماذا - وهو يمثل الإله الأعظم في نظرهم - (الثور العظيم) هرب منه، فما كان من مشرا إلا أن تعقبه ثم قدم ذلك الثور ذبيحة حتى يمكن للأرض أن تخصب من دمائه المنبثقة، ولكن (أهورما) إله الشر أراد أن يمنع تلك الدماء من أن تنسكب على الأرض^(٢) فتخصبها فأرسل العقارب حتى يمنع مشرا من ذبح (الثور)، ولكن (مشرا) انتصر عليه وانسكبت الدماء وأخصبت الأرض، ويقولون: إنه ما أن ارتفع إلى السماء حتى أولى رعايته لأرواح المؤمنين من أشياعه.

«وكان مشرا في نظر عباده بطلاً مخلصاً صوّر على الكهوف كشاب قوي في زي شرقي وهو ينحر ثوراً قوياً بكل هدوء كذلك لم يكن مشرا - في نظرهم - صاحب النعم على البشر فحسب بل أيضاً شفيحاً لهم يوم القيامة أمام رب النور الأكبر أهوراماذا، وكان مشرا أيضاً في نظر عباده هو الذي ينظر في الأرواح ويحاسبها على ما قدمت وأخرت وكان دائماً في صف البشر ومحبا لهم^(٣).

وكان معتنقو هذه الديانة يقومون ببعض الطقوس أهمها:

إن من يريد أن يدخل في هذه الديانة لا بد وأن يمر بسبع درجات تحمل أسماء: الغراب والمستور، والجندي، والأسد، والفارس، وعداد

(١) د/ سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ص ١١٦ ط. دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م.

(٢) المدخل إلى العقد الجديد ص ٦٩، ٧٠. راجع أيضاً: ((معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني ص ٦٣٣)).

(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري .

الشمس، والأب (١).

ولكل درجة من الدرجات السابقة لبس خاص بها، وعندما يصل المؤمن بهذه الديانة إلى درجة ما، عليه أن يلبس اللبس الخاص بها، فمثلاً عندما يصل إلى برج الجندي فإنه يلبس لباس الجندي، ثم يدخل إلى كهف عسكري ويمسك بسيف يضعه على رأسه ثم يرفعه ويضعه على كتفه ليظهر أن (مثرا) هو تاجه ومجده وأنه هو جنديه وشهيده إذا لزم الأمر، وعندما يصل إلى برج الشمس فإنه يسمى شريكاً وعندما يصل إلى النهاية يدخل في عهد السرية التامة (٢).

وإلى جانب هذه الرحلة الدينية كان عليه أن يقوم بطقوس أخرى، فهناك المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر، وبعد المعمودية يولد الإنسان، - في نظرهم - ولادة ثانية.

وهناك مائدة مثرا وهي مائدة مقدسة يأكل منها مع الإله مثرا ليشارك معه في موته وقيامته (٣).

واعتبرت هذه الديانة يوم الشمس يوماً مقدساً (الذي أصبح يوم الأحد فيما بعد) واختارت هذا اليوم ليكون عطلة أسبوعية مقدسة، كما اختارت يوم الخامس والعشرين من ديسمبر ليكون عيداً لقيامه مثرا، وصعوده إلى السماء (٤).

والطقوس المسيحية تشبه بدرجة كبيرة - كما ترى - هذه الطقوس الوثنية وتتطابق معها إلى حد كبير.

وقد اعترف بهذا التشابه أحد أساتذة علم اللاهوت المسيحي د/ فهميم عزيز

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٧٠.

(١) حضارة روما ص ٣٧٧.

(٣) المرجع السابق ص ٧١.

(٤) د/ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية ص ٣٤، المكتبة العصرية بيروت سنة

١٩٦٧م، راجع أيضًا تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ص ٤١٧.

فقال - بعد أن ذكر ديانة مشرا- «هذه هي ديانة مشرا وفيها نجد التشابه الكبير بينها وبين المسيحية في الطقوس: المعمودية، والولادة الثانية، والأكل مع الإله، واختبار الموت، والقيامة مع الإله»^(١).

ثم نجده بعد ذلك يحاول تبرير هذا التشابه بقوله: «ولكن ماذا يميز المسيحية عن المثرائية؟».

إن الفرق العظيم الذي يكون فجوة لا تعبر بين الاثنيين هو أن المسيحية ديانة نبتت على حقيقة تاريخية ملموسة، ومركزها هو شخص عاش في التاريخ مات وقام، عرفوه ورأوه ولمسوه وشهدوا له بحياتهم، أما ديانة مشرا وغيرها فهي ديانة طقسية، بنيت على أساطير لا أساس تاريخي لها هي من خيال الإنسان الذي يريد الخلاص»^(٢).

وهذا التبرير - كما ترى - غير مقنع، فهل يعقل أن يأتي دين من عند الله بما يطابق خيال وأساطير الإنسان - ذلك الإنسان الذي اخترع بعض القصص والأساطير التي تتناسب وعقيدة الخلاص؟ وهل يعقل أن يأتي الإنسان غير المعصوم بأساطير يظهر منها الطقوس المحكمة التي يريد الله منا؟ هل يعقل هذا التطابق الأسطوري للطقوس وما يترتب عليها من نتائج وآثار؟.

إن التشابه بين الديانتين بلغ درجة كبيرة بينهما، فليس تشابهًا ظاهريًا ولا شكليًا وإنما هو تطابق في الطقوس وطريقة القيام بها، وما يترتب عليها من اعتقادات وعبادات.

هذا إلى جانب أن ما يريد أن يثبتته الباحث المسيحي من أن المسيح قد مات وقام وبثه لهذه المقولة على أنها حقيقة تاريخية، أما نحن فنتساءل عمن قال ذلك؟ إنها ليست حقيقة وليست تاريخية، فالنصوص التي ساقها

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٧١.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

المسيحيون للدلالة على هذا متناقضة ومتضاربة بحيث لا يمكن أن تثبت منها عقيدة؟؟^(١)

انتشار الديانة المثرائية في الإمبراطورية الرومانية:

وقد لاقت هذه الديانة رواجًا كبيرًا بين الرومانيين وخاصة الجنود العسكريين حيث أغرموا بها وبطقوسها وأسرارها وقاموا بنقلها إلى جميع أنحاء العالم.

ولقد مهدت سياسة الإسكندر الأكبر بصفة عامة إلى عديد من الاتصالات بين الشعوب - بعضها البعض - وأخذت تجارة الشرق الأقصى تشق طريقها نحو منطقة البحر المتوسط وبدأت عبادة مثرًا تتجه نحو الأناضول وإيطاليا^(٢).

هذا وقد اتخذت (ديانة مثرًا) آسيا الصغرى مركزًا لانطلاقها وانتشارها في الإمبراطورية الرومانية، فامتدت عبادته إلى سواحل البحر المتوسط وإلى طرسوس - المدينة التي ولد فيها بولس المسيحي - حيث انتشرت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية^(٣).

وساعد على انتشارها اعتناق الجنود الرومان لها، فالجنود الرومان الذين أرسلوا إلى كيليكيا (في جنوب آسيا الصغرى) اعتنقوا المثرائية، وذلك لأن ما فيها من دعوة إلى الحرب والكفاح استهواهم استهواءً عظيمًا^(٤).

ثم كان التجار السوريون والعبيد المشاركة - بعد الجنود - هم الذين نشروا عبادة هذا الإله الفارسي^(٥).

(١) راجع للمؤلف رسالة الماجستير (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه)، الباب الثاني، الفصل الرابع، ورسالة الدكتوراة (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية) الباب الثالث، الفصل الثالث.

(٢) تراث فارس ص ٤٥.

(٣) د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الديني ص ١٤٩. الطبعة الثالثة. مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٧٠م.

(٤) تراث فارس ص ٤٢٥.

(٥) نخبة من العلماء (بإشراف السيرجون هامرتن: تاريخ العالم (المجلد الرابع) ص ٧٢.

وبدأت هذه الديانة تنتشر شيئًا فشيئًا، وما أن وافت القرون الأولى من التاريخ الميلادي حتى انتشرت هذه الديانة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت أروج العقائد وأشهرها في روما نفسها وظهر «ميثرا الشمس التي لا تغلب» على العملات الرومانية في صورة فارس^(١).

هذا إلى جانب أنها انتشرت أيضًا في المواني والمراكز التجارية مثل الإسكندرية وقرطاجنة ولندن^(٢)، ورأى بعض الباحثين استنادًا إلى بعض الشواهد أنه كان من الممكن أن تصبح عقيدة (مثرا) بمضي الزمن الدين الرسمي للرومان^(٣).

* * *

(١) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٦.

(٢) تاريخ العالم (المجلد الرابع) ص ٧٢.

(٣) د/ محمود الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٤٧. دار المعارف سنة ١٩٨١م.